النقد بين القديم والحديث هل أسّس النقد القديم قاعدة جيّدة لميلاد النّقد الحديث؟

مرّت عملية النقد الأدبي بمراحلَ اختلفت باختلاف العصور المتلاحقة وطبيعة أهلها الفكرية من جهة، وباختلاف النتاج الأدبي الذي قدمه أدباء كل عصر من عصور الأدب، ففي العصر الجاهلي بدا نقد الأدب انطباعيًّا عفويًّا يخضع للذوق العام للمتلقّي، فعندما كان الشاعر يقف على منصته في إحدى الأسواق الثقافية كسوق عكاظ وذي المجنة وذي المجاز، كان الناس عامةً يتجمهرون حوله يصغون لإلقائه ويُبدون ما لديهم من انتقادات لا تتجاوز حدود الكلمة من النص هنا أو هناك، أو انتقادات تظهر ذوق السامع وحسب، دونما حاجة لتعليل الحكم النقدي أو تفسيره.[١] ولم يكنِ النّقد ليختلف عن هذا الحال في العصرين: صدر الإسلام وكذلك العصر الأموي، إلّا أنه في العصر العباسي ومع ظهور المصنفات العلمية واللغوية بدا النقد ينحى منحى علميًّا؛ فظهرت الاصطلاحات النقدية وكتب النقد لمفكرين ولغويين متخصصين في النقد والأدب، ولكنَّ النقد في هذا العصر كان لا يزال نقدًا جزئيًّا يبحث في الكلمة أو العبارة ولا ينظر إلى النص الأدبي كقطعة فنية متكاملة.[١] لقراءة المزيد عن النقد قديمًا، ننصحك بالاطّلاع على هذا المقال: تاريخ النقد الأدبي عند العرب.

تعريف النقد الأدبي الحديث بماذا اختلف النقد الحديث عن القديم؟

لا يبتعِد تعريف النقد الأدبي الحديث كثيرًا عن مُعطاه المعجميّ والّلغوي، فالفكرة الأساسية من النقد تبقى واحدة ألا وهي: تحليل النصوص وتمييز جيدها من رديئها وإبراز محاسنها وعيوبها، وهذا ما سار عليه النقد القديم وفاضل الشعراء على أساس منه، وتابعه المحدثون من بعدهم، غير أنّ النقد الأدبي الحديث قد أخذ يتجه نحو المنهجية العلمية فأصبح علمًا قائمًا بذاته مستقلًا في اصطلاحاته وتصنيفاته العلمية عن سائر العلوم التي تسعى لتفسير الأدب وشرحه وتتبّع ترجمة أصحابه.[٢] فالنقد الأدبي الحديث إذًا، هو تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفنون عامة أو إلى الشعر خاصة ويقصد به القدرة على التمييز والقدرة على التفسير والتعليل والتحليل والتقييم، وهي خطوات لا تغني إحداها عن الأخرى وهي متدرّجة على هذا النسق كي يتخذ الموقف نهجًا واضحًا مؤصلًا على قواعد جزئية أو عامة مؤيدًا بقوة ملكة الإبداع بعد ملكة التمييز.[٢]

تأثر النقاد العرب بالنقد الغربي الحديث

تأثر النقاد العرب بالنقد الغربي الحديث تأثّر العرب بالنقد الأدبي السائد لدى الغرب في العصر الحديث، وما عاصره أهله من انفتاح على الشعوب الأخرى واختلاط الأجناس وتبادل الثقافات، فانتهجوا مناهجه التي بدت مختلفة كلية عن العملية النقدية التي كانت سائدة في العصور السابقة لدى العرب، فقد أصبحت له قواعد وأصول منهجية تقصر هذا العلم على الدارس المتخصص في علوم الأدب صاحب النظر الثاقب والاطلاع الواسع والموهبة النقدية كما بيّنَها تعريف النقد الأدبي الحديث.[٣] واستقى العرب كثيرًا من المُصطلحات النقديّة المستخدَمة لدى الغرب، فقاموا بتعريبها أو ترجمتها أو الإبقاء عليها كما هي، وأخذ النقاد ينظرون في النصوص الأدبية نظرة كلية تشمل العمل الأدبي بكل ما فيه من عناصر أساسية كاللغة والأفكار والعاطفة والصورة الفنية، وعملوا على الكشف عن مزايا العمل الأدبي الدفينة وتفسير الانفعالات التي مر بها الأديب إثر إنتاجه لعمله الأدبي بوصفها العامل الأساسي لتكوينه، كما اختلفت النظرات النقدية وتعددت فظهرالعديد من المناهج النقدية المختلفة التي تأثر بها الأدب والأدباء على حد سواء.[٣] أبرز المدارس النقدية الحديثة ما هو الفَيصل بين المدرستَيْن البنيويّة والتفكيكيّة؟ تعدّدت الآراء النقدية الحديثة واختلفت نظرًا لاتّساع توجهها وعالمية الأدب وامتزاج الثقافات؛ إذ ظهر إِثْرَها الكثير من المناهج والمدارس النقدية الحديثة التي تعمل هدف واحد رغم اختلاف نظمها وأنساقها الفكرية، ومن هذه المناهج ما يأتي. المنهج البنيوي البنوية لفظة مشتقّة من كلمة "بُنْيَة"، وتشير إلى أنّ أيّ ظاهرة إنسانية كانت أم أدبية تشكّل بنية يمكن دراستها من خلال تحليلها إلى العناصر المكوّنة لها، دون الأخذ في الاعتبار العوامل الخارِجَة عنها، مثل حياة الكاتب ومشاعره، ومن أبرز روّادها من الغرب: رومان ياكبسون، ومن العرب عبد السلام المسدي.[٤]

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1. أ ب بتول قاسم ناصر (د.ت)، محاضرات في النقد الأدبي (الطبعة د.ط)، العراق: مركز الشهيدين الصدرين للدراسات والبحوث، صفحة 22. بتصرّف.
2. أ ب "تعريف النقد"، www.alukah.ne، اطّلع عليه بتاريخ 10-01-2020. بتصرّف.
3. أ ب حرة طيبي (2017)، السند البيداغوجي لمقياس: النقد العربي الحديث (الطبعة د.ط)، الجزائر: جامعة أبي بكر بلقايد، صفحة 3. بتصرّف.